

خطاب المعاملات المالية في القرآن الكريم

(القسم الثاني)

أ. طيب بن براهيم *

الأخلاقيات المالية في القرآن

الأخلاقيات المالية : الآيات القرآنية :

- حب المال : ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾¹.
- الاستعلاء بالمال : ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا﴾².
- سيطرة المال : ﴿كَيْ لَا يَكُونَ ذُلٌّ بَيْنَ الْغَنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾³.
- المال ليس غاية : ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾⁴.
- الإباحية المالية : ﴿أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ...﴾⁵.
- تصرف السفيه : ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾⁶.
- التواضع : ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾⁷.
- العفة : ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾⁸.
- الوفاء : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾⁹.
- الأمانة : ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُودِّهِ إِلَيْكَ﴾¹⁰.
- التراض : ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾¹¹.

* أستاذ باحث. الأبيض سيدي الشيخ - البيض.

1. سورة الفجر، الآية 20 - 2. سورة سبأ، الآية 35 - 3. سورة الحشر، الآية 7 - 4. سورة غافر، الآية 82
5. سورة هود، الآية 87 - 6. سورة النساء، الآية 5 - 7. سورة القصص، الآية 24 - 8. سورة النساء، الآية 6
9. سورة المائدة، الآية 1 - 10. سورة آل عمران، الآية 75 - 11. سورة النساء، الآية 29.

- الشكر : ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾¹.
- الإنفاق : ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾².
- الإحسان : ﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾³.
- الإيثار : ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾⁴.
- قول المعروف : ﴿فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾⁵.
- رفض الظلم : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ﴾⁶.
- الباطل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾⁷.
- البخس : ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾⁸.
- كثر المال : ﴿وَالَّذِينَ يَكْتِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾⁹.
- البخل : ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَخْلِ﴾¹⁰.
- الشح : ﴿وَمَنْ يُوقِ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾¹¹.
- التوسط : ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾¹².
- الاقتصاد : ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾¹³.
- الإسراف : ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾¹⁴.
- التقدير : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾¹⁵.
- التبذير : ﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا﴾¹⁶.
- المن : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾¹⁷.

1. سورة إبراهيم، الآية 7 - 2. سورة البقرة، الآية 274 - 3. سورة القصص، الآية 77 - 4. سورة الحشر، الآية 9 - 5. سورة النساء، الآية 8 - 6. سورة النساء، الآية 10 - 7. سورة النساء، الآية 29 - 8. سورة هود، الآية 85 - 9. سورة التوبة، الآية 34 - 10. سورة النساء، الآية 37 - 11. سورة الحشر، الآية 9 - 12. سورة الإسراء، الآية 29 - 13. سورة المائدة، الآية 66 - 14. سورة الأعراف، الآية 31 - 15. سورة الفرقان، الآية 67 - 16. سورة الإسراء، الآية 26 - 17. سورة البقرة، الآية 264.

- الرئاء : ﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾¹.
- الترف : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾².
- اللهو : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ﴾³.
- خوف الفقر : ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾⁴.
- خشية الإملاق : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ﴾⁵.
- العدل في الميزان : ﴿بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾⁶.
- التطفيف : ﴿وَيَلِّ لِلْمُطَفِّينَ﴾⁷.
- إكمال الكيل : ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾⁸.
- ترجيح الميزان : ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾⁹.
- توفية الميزان : ﴿أَلَا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾¹⁰.
- النهي عن السؤال : ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾¹¹.
- النهي عن الفساد : ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾¹².
- ذمّ الفسوق : ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾¹³.
- ذمّ الرجس : ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ﴾¹⁴.
- الرشوة : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتَذَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾¹⁵.
- الربا : ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾¹⁶.

1. سورة البقرة، الآية 264 - 2. سورة سبأ، الآية 34 - 3. سورة المنافقون، الآية 9
 4. سورة التوبة، الآية 28 - 5. سورة الإسراء، الآية 31 - 6. سورة الإسراء، الآية 35
 7. سورة المطففين، الآية 1 - 8. سورة الأنعام، الآية 152 - 9. سورة الرحمن، الآية 9 - 10. سورة
 الرحمن، الآية 8 - 11. سورة البقرة، الآية 273 - 12. سورة البقرة، الآية 60 - 13. سورة الإسراء، الآية 16
 14. سورة المائدة، الآية 90 - 15. سورة البقرة، الآية 188 - 16. سورة البقرة، الآية 275.

الأخلاق والتنمية الاقتصادية

إن أي عمل أو أي مشروع مادي أو معنوي فردي أو جماعي يقوم به الإنسان إلا ويحتاج في إنجازه لمجموعة قيم وأخلاق يجب أن تتوفر في القائمين عليه، ويؤمنون بها ليكتب النجاح لمشروعهم، فالصبر مثلاً والإخلاص والصدق والوفاء والتفاني في العمل، والحب والتضحية وغيرها من الأخلاق، فهي مناط النجاح أو الفشل لأي مشروع أيّا كان نوعه، وهي ضمان البقاء والاستمرارية، خاصة في المشاريع التنموية أيّا كان نوعها. فالتنمية تحتاج لجهد ووقت وتفكير ولتخطيط وعمل دؤوب وإرادة قوية وعفة وأمانة ووفاء وصدق ونزاهة وغيرها، وهذه الأخلاق والمثل لا تتحلّى بها الآلة، ولا يتحلّى بها كل إنسان، بل من يؤمن بها ويؤمن بتجسيدها. فالآلة لا تعرف الحب ولا الوفاء ولا الإخلاص ولا التضحية، فهي تعمل أو تتوقف بحركة آلية، بينما الإنسان بإمكانه العمل بعد التوقف، وبإمكانه التوقف قبل التوقف، وبإمكانه فعل أكثر مما هو منتظر منه، وبإمكانه تعطيل الآلة أو سوء استعمالها، وبإمكانه إصلاحها وصيانتها وتحديثها.

فالإنسان ليس آلة تعمل وتتحرك في أي مكان وفي أي اتجاه، ويسيرها أي إنسان، ومع ذلك فهي تحتاج إلى يد عاملة خبيرة تسييرها وتشرف عليها، وإلى طاقة معيّنة تحركها، أما الإنسان فهو عكس الآلة، إنه شحنة متفجرة من المشاعر والعواطف والأفكار الطاقات والقدرات الكامنة التي إن حركت حركة سليمة ووظّفت أحسن توظيف حقّقت المستحيل، وإن لم توظف توظيفاً صحيحاً كان الإنسان كآلة يقوم بعمل آلي وظيفي روتيني بعيد كل البعد عن أيّ جهد إبداعي. وقدرة الإنسان العملية لا تكمن في عمله الآلي وأدائه الوظيفي، بل في تحريك كوامنه

الداخلية وتفجير طاقاته وتوظيف رغباته وإرادته ومشاعره فيما يؤمن به، فتتضاعف جهوده ويبدع في عمله ويتفنن في أدائه، وإن حيدت طاقاته وكوامنه ومشاعره، أو وجهت توجيهها معاكسا لها شلت الجهود وأوقفت الإبداعات.

والأخلاق صفة إنسانية يتّصف بها الإنسان، لكن نفس هذه الأخلاق تختلف من إنسان لآخر باختلاف مصادرها التي تصدر عنها وتدعو لها وترعاها، وباختلاف غاياتها التي ترمي لها، فهناك الأخلاق الاجتماعية التي يفرضها مجتمع ما، وهناك الأخلاق المهنية التي توجبها على صاحبها مهنته ووظيفته، فبمجرد ترك صاحبها لموقعه الاجتماعي أو الوظيفي قد يتخلّى عنها ليقبل على أخلاق مجتمع آخر أو مهنة أخرى، وما يعيننا هنا هو الأخلاق الدينية التي هي جزء من دين ومعتقد أصحابها، والإسلام في مختصر العبارة هو عقيدة معنوية وخلقية¹، وقد نجد الخلق الواحد مشتركا بين هؤلاء جميعا لكنه يختلف في أدائه باختلاف مصدره وغايته، فمن يتصف بخلق الشجاعة والكرم والإحسان انطلاقا من موقف قبيلته أو مهنته أو ثقافته، يختلف عن من يتصف بنفس الصفات والأخلاق لكنه انطلاقا من موقف عقيدته، فأخلاقه أخلاق دينية عقائدية فأخلاق الإسلام ليست أخلاقا قانونية مهنية ولا سياسية ولا أخلاقا إقليمية أو عرقية ولا أخلاقا تتغير بتغير المكان والزمان والإنسان.

فهذه الأخلاق التي تفرضها عليه قوانين الإدارة وتقاليده المجتمع وثقافته هي أخلاق خارجية تنتمي لعالمه الخارجي الذي يحيط به ويراقبه، فإن وجد فرصة انفلات من هذه المراقبة زاغ عنها عكس أخلاق الإسلام، فالتفكير في الخروج عنها أو التحايل عليها يتناقض مع عقيدته، فهي أخلاق

1. محمد باقر الصدر: "فلسفتنا"، ص 44.

إيمانية داخلية غير خارجية، نابعة من عمق الإيمان بالعقيدة الإسلامية، مقترنة بمكانة تأثيرها الروحي، فهي تمد الإنسان بشحنة إيمانية متفجرة، تجعل خلقه المالي امتداد لإيمانه بعقيدته، أو غاية ماله في خدمة عقيدته، وعقيدته ليست شعائر وطقوس تؤدي وتنتهي مسؤوليتها بانتهاء أدائها، بل هي أوامر ونواهي وأخلاق تسود كل حياة الإنسان من أتفه الأمور وأبسطها إلى أعظمها، فالإنسان في الإسلام عبد لله سيّد على سواه، وليس عبدا للدينار والدرهم، وقوة المسلم في عقيدته لا تستبدل بقوة ماله، وقوة ماله تسخر لخدمة عقيدته، وقوة عقيدته لا تزول بزوال ماله، وحتى بزوال ماله يجب أن يبقى المسلم عزيزا قويا بالإيمان والعفة والطهارة، وهي صفة من مدحهم الله، والذين يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف كما أخبر بذلك القرآن الكريم، وهذا عكس المجتمعات التي تقدّس المادة وتعبدها، فالمادة هي كل شيء، هي الدنيا والدين، فإن تأزم وضع الإنسان المالي لم يتحلّ بالعفة والطهارة والصبر كما هو موجود في الإسلام، ويؤدي ذلك إلى الانهزام والضعف المعنوي والانهيار النفسي والانتحار، وهو حال الشعوب التي تؤمن بقدسية المادة، فكما هي الأغنى مادة، هي الأفقر إيمانا وأخلاقا، وهي الأعلى أيضا في نسبة الانتحار، ولا يوجد بينهم من يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف، وهذا عكس الشعوب والدول الإسلامية الشديدة الفقر، والأخفض نسبة في الانتحار.

فالدين يعد من أهم العوامل المؤثرة على مشاعر وطاقات وكوامن الإنسان وقدراته، والدين الإسلامي لا يعد من أهم العوامل، بل أهمها جميعا في التأثير على كيان الإنسان وتفجير طاقاته وإلهاب مشاعره، وانطلاقه للعمل فيما يؤمر به مما يؤمن به في عقيدته ويرضي به ربه، بكل جهد وإخلاص وصدق وتفان في العمل مقابل أجرين دنيوي وأخروي.

إن كسب المال وجمعه يحتاج إلى كثير من الجهد والفكر والوقت والتضحية، وما هو أكثر من كل هذا هو التضحية بالمال، فالتضحية به أهم من التضحية بجمعه، فما جمع في سنوات طويلة وبكثير من الجهد يضحى به في لحظات معدودة، فهذه التضحية الكبيرة والإيثار الكبير يقابل في عقيدة المسلم بالجزاء الأكبر، وهو أضعاف ما أنفقه عشرات المرات.

إن عملية التنمية الاقتصادية هي أكثر من غيرها في أمس الحاجة للجهد والإخلاص والصدق والتفاني في العمل، وليس مجرد وجود آلة أو مصنع أو عدد من العمال، فعالم الاقتصاد شديد الارتباط بعالم القيم السلوكية والحضارية بحيث لا يمكن أن نتصور نجاح خطة اقتصادية تقتنع بأرقام وإحصائيات وأدوات مادية إن لم يكن نجاحها آخذاً في الاعتبار قيمة الإنسان ذاته في رتبة القيمة الاقتصادية الأولى مع شرط أن تكون إرادته شرارة مقتبسة من إرادة حضارته¹. إن التنمية الحقيقية هي تنمية الإنسان، فتنميته هي مكسب لكل شيء وخسرانه خسران لكل شيء، والإنسان يتأثر تأثيراً جاداً وإيجاباً بأخلاق الفضيلة والتضحية المتجسدة أمامه، فالرسول صلى الله عليه وسلم كان قرآناً متحركاً وكان مضرب مثل في ثرائه الأخلاقي، وليس مضرب مثل في ثرائه المالي، وكذلك كان خلفاؤه من بعده، خاصة أبو بكر وعثمان اللذان سخرا ثرائهما المالي لخدمة ثرائهما الخلقي الذي جاء به الإسلام، وهذه هي التنمية الاجتماعية والأخلاقية الحقيقية، وليست تنمية التحايل بكل السبل للنهب والسرقة والاحتيايل على الأموال.

إن نمو وبناء أي اقتصاد لا ينمو ولا يبني بأخلاقيات اقتصاد آخر، وأن أي اقتصاد هو وجه من أوجه حضارته التي ينتمي إليها ونما في رحابها،

1. محمد باقر الصدر: "اقتصادنا"، ص 75.

فأخلاقيات الاقتصاد الإسلامي تختلف عن أخلاقيات الاقتصاد الحر. وإن فشل المناهج الاقتصادية الأوروبية في العالم الإسلامي سببه التناقض بين تلك المناهج والعقيدة الدينية للإنسان المسلم لكونها قوة تعيش داخل العالم الإسلامي، فالعقيدة لها تأثيرها الكبير في توجيه السلوك وخلق المشاعر وتحديد النظرة نحو الأشياء¹.

وما يمكن أن نستدل به على ذلك هو مخطط الخبير الاقتصادي الألماني الكبير شاخت الذي قام به في إندونيسيا، فمع توفر كل الشروط التقنية والمادية والبشرية فشل مخططه لأنه حسب تعبير "بن نبي" فقد شرطا ليس من اختصاص رجل الاختصاص في الاقتصاد أن يفكر فيه². فالتنمية الاقتصادية ليست عملية تمارسها الدولة وتبنيها وتشرع لها فحسب، وإنما هي عملية يجب أن تشترك فيها وتساهم بلون أو آخر الأمة كلها، فإذا شعرت الأمة بتناقض بين إطار التنمية المفروض عليها وبين عقيدتها وأخلاقياتها فسوف تحجم بدرجة تفاعلها مع تلك العقيدة عن العطاء لعملية التنمية³. فهناك في الواقع أخلاقية إسلامية تعيش بدرجة وأخرى داخل العالم الإسلامي، وهناك أخلاقية الاقتصاد الأوروبي التي واكبت الحضارة الغربية الحديثة ونسبت لها روحها العامة، والأخلاقيتان تختلفان اختلافا جوهريا في النظرة والاتجاه والتقييم، وبقدر ما تصلح أخلاقية الإنسان الغربي الحديث لمناهج الاقتصاد الأوروبي، تتعارض أخلاقية إنسان العالم الإسلامي معها، وهي أخلاقية راسخة لا يمكن استئصالها بمجرد تجميع العقيدة الدينية⁴.

1. نفس المصدر، ص 15 - 2. مالك بن نبي: "المسلم في عالم الاقتصاد"، ص 114 - 3. محمد باقر الصدر: "اقتصادنا"، ص 16 - 4. نفس المصدر، ص 17.

إن البحث في جذور أي اقتصاد ليس معناه إنشاء بنوك وتشديد مصانع واستصلاح أراضٍ واقتراض أموال، بل قبل ذلك هو تشييد الإنسان وإنشاء سلوكه القويم أمام كل المشكلات¹.

وما من شك في أن من أهم العوامل في نجاح المناهج التي تتخذ لتنظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية احترام الناس لها وإيمانهم بحقوقها في التنفيذ والتطبيق².

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- ابن منظور: "لسان العرب"، دار لسان العرب، بيروت
- أحمد الشرباصي: "موسوعة أخلاق القرآن"، دار الرائد العربي، بيروت 1985.
- محمد صالح البنداق: "هداية الرحمن لألفاظ وآيات القرآن"، دار الآفاق الجديدة 1981.
- مالك بن نبي: "المسلم في عالم الاقتصاد"، دار الشروق.
- محمد باقر الصدر: "اقتصادنا"، دار المعارف، بيروت 1991.
- محمد باقر الصدر: "فلسفتنا"، دار المعارف، بيروت 1989.
- مقداد يالجن: "الاتجاه الأخلاقي في الإسلام"، مكتبة الخانجي 1973.
- الهيئة المصرية العامة للكتاب: "معجم ألفاظ القرآن الكريم"، المجلد الأول 1970.

1. نفس المصدر، ص 703 - 2. نفس المصدر، ص 16.